التنصير بين الأمس واليوم
وكيفية مواجهته في الجزائر المعاصرة

أ / الجيلالي شقرون
االجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

– مفهوم التنصير:

هو ذلك الجهد الكنيسي الذي يقوم به الدعاة إلى النصارى من أجل نشر المسيحية بين المسلمين في العالم العربي والإسلامي . قال الله تعالى :" ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا."(1) أما مصطلح التبشير فهو في غير محله لأنه كلمة حق أريد بها باطل، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء مبشرا بالإسلام وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا مبشرين بأن الله واحد لا شريك له.

إن موضوع التنصير أصبح همّ كثير من العاملين في الحقل الإسلامي قصد وضع حد له كي لا يتسرب إلى الشباب العربي ، وعلى لسان عامة الناس، والذين ربما قد هوّلوا من ضرره خوفا على أبنائهم من هذا الأخطبوط الذي يكتسح العالم العربي والإسلامي عامة والجزائر خاصة. فالتنصير في الجزائر امتداد تاريخي للقرون السابقة خاصة القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، أي خلال الفترة الاستعمارية.

ولقد ابتليت الجزائر كغيرها من بلدان العالم الإسلامي والعربي بظاهرة الاستعمار الفرنسي الذي تسلط عليها كالجراد المنتشر ونهب خيراتها الزراعية والحيوانية والبشرية. وعمل على استنصال شخصيتها العربية الإسلامية عن طريق السياسة الاستعمارية مستخدمة في ذلك وسائل متنوعة.

من تلك الوسائل البشرية المدرسة الفرنسية والغزو الفكري والتنصير مع هدم للبنية التعليمية الإسلامية للمجتمع الجزائري وتحويل المساجد إلى كنائس وهدم الكتاتيب القرآنية (2) بهدف قطع الصلة بهذا الكتاب الذي فيه عزهم ، وتسليط الجهل والمجاعة في الجزائر ومنح الجنسية الفرنسية بواسطة مجموعة من المشاريع التسلطية (مشروع بلوم فيولين- قانون الأهالي...). وكل ذلك من أجل ادماج المجتمع الجزائري في منظومة المجتمع الفرنسي.

والذي يهمنا هنا السياسة التنصيرية التي اتبعتها فرنسا والتي سعت إلى محو الجهوية العربية الإسلامية للجزائريين انطلاقا من القضاء على حقوقها الدينية والثقافية. ففي بداية الدخول الاستعماري الفرنسي للجزائر عام 1830 وقع الدّاي حسين مع قائد الحماية الفرنسية دي بورمون معاهدة التسليم التي تضمنت في بندها الخامس مايلي:إقامة الشعائر الدينية المحمدية تكون حرة، ولا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم وصناعتهم ، وتحترم نساؤهم والقائد العام يتعهد بذلك عهد الشرف.(3)

فلا شرف لمثل هؤلاء لأنه لا عهد لهم ولا ميثاق، فهي خدعة أملتها ظروف الغالب على لمغلوب الذي لا يملك إلا أن يتقبل كل مايملى عليه. ولإبراز نية هذا القائد اصطحب معه ستة عشر قسيسا كانوا قد رافقوا الجيش الفرنسي وكان أحدهم الأب زكار السروي بطريق بيت المقدس.ولم يكن وجودهم بمحض الصدفة بل يدل على اختيار أساسي .(4)

كما أن هذا الجنرال الذي أخذ على نفسه عهد الشرف باحترام بنود المعاهدة ، أعطى أوامره بعد ستة أيام من أن تقام صلاة دينية في داخل القصبة، وكذلك أقام الملك شارل "10" صلاة وحضرها بنفسه في كنيسة "Notre d'âme de Paris" بباريس لشكر الرب على الانتصار الذي حققه جيشه في الجزائر.

ويصف كاتب الجنرال دي بورمون الخاص دولت ديمسنيل هذا الحفل بقوله: "أقيمت هذه الصلاة في الساحة الرئيسية للقصبة ، أن تحية العالم قد تراءت لنا وسط هذه القلعة التي بناها أبناء محمد ضد شعوب المسيح، وقد ترددت عبارات الإنجيل في هذه الأماكن التي مازالت حافلة بذكريات الإسلام ."(5) وهذا يبين مدى الكراهية التي يكنها النصارى للمسلمين ولدينهم.

وعقب نجاح الجيش الفرنسي في إسقاط مدينة قسنطينة ووصول أخبار السقوط إلى مسامع الملك بعث برسالة إلى أساقفة باريس جاء فيها:" أن قسنطينة أصبحت تحت سلطتنا ، إن جيشنا في إفريقيا قد وضح بالمجد ، ولأرفع شكري للعناية الإلهية لانتصارنا فاني أرغب أن تقام صلاة شكر. وفي أثناء هجوم الجنرال بيجو "Bugeaud " على مدينة

بوفاريك أسر 250 طفلا وقدمهم إلى الأب بريمول "Brumauld " مخاطبا إياه أنهم يتامى لقطوا في ساحة الوغى ربوهم واجعلوهم مسيحيـــين ".(6)

ومنذ 1877 بدأت المدارس الدينية الحرة تنتشر في الجزائر بعد تدعيم جمعية الكاثوليك للافيجري « Lavigerie » الذي تركزت جهوده في البداية في منطقة القبائل التي أسس بها أول مركز تنصيري عام 1873 وبالضبط في قبائل أيت عيسى في تاخمونت. ثم بدأ نشاطه التنصيري يتوسع في منطقة الأوراس ما بين 1893-1900 لتصل الحركة التنصيرية أواخر القرن 19م إلى مناطق الصحراء في مدينة ورقلة والأغواط. وقد وصل عدد المنصرين عام 1917 إلى ستة آباء وثمانية أخوات ببض وذلك إلى قبيلة أوديهة "Oudia " .(7)

ولقد أعلن لافيجري حصارا عن سياسته بقوله " لقد وجب إعادة بناء الشعب الجزائري وخصم وقف حياته على القرآن الذي ارتبط به عند زمن بعيد مستعلمين كل الوسائل الممكنة . ومن جهة أخرى يجب تلقين أبنائه على الأقل مشاعر ومبادئ جديدة، كما يجب على فرنسا أن تقدم إذا لم تخطئ أوربا لأمري تسمح بتقديم الإنجيل أو تعمل على طرد هذا الشعب إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر ، وبغير هذا بل شيء يصبح وسيلة لا تنفي بالغرض ولا قدرة لها.(9)

تمكن لافيجري أثناء وجوده بالجزائر من تحقيق أغلى أمانيه في بعث الكنيسة الإفريقية عندما أقام مراكز رعاية الأيتام وتربيتهم وتنشئتهم وتنصيرهم في النهاية (10) . وقد اتخذ من مدينة الحراش مركزا رسميا لها

، و كانت تلك المراكز موزعة في حي ابن عكنون وبوزريعة في العاصمة وبطيوة بالقرب من مدينة أرزيو . وكانت هذه المراكز تعمل وفق ما صرح به الكاردينال لافيجري "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية فضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا الإلهية . (11)

وقرر لافيجري إنشاء مراكز فلاحية أخرى لليتامى الذين نصرهم وبين الغرض من ذلك في رسالته المؤرخة بـــ6أبريل 1878 فقال : "سنجد فيها (في هذه القرى) بعد سنوات قليلة مجموعة كبيرة من العمال المفيدين الذين يساندون تعميرنا ويصيرون أصدقاء لنا أو بعبارة أخرى سنجد عرباً مسيحيين" . واقتصر تعليم الأطفال على المبادئ الأولى من قراءة وحساب ونشر "الوطنية الفرنسية " قال لافيجري : "بينما كان الفلاحون يشتغلون في القرية ، كان اثنان من المبشرين يقومان بتعليم بعض الأطفال المساكين الذين التقطوهم " و لم يكن من الضروري أن يتجاوز هذا التعليم مستوى معيناً. فرفض الأب الذي اعتنى بتربية "جان بن عيسى" أن يقدمه إلى امتحان الشهادة الابتدائية بدعوى أنه قد يتعلم أشياء كثيرة غير مفيدة وقد يؤدي به نجاحه إلى التكبر والتطلع إلى شئ آخر غير الزراعة فيضطرب أمره. فالغرض من هذا التعليم إذن هو ربط هؤلاء الناس بالأرض وجعلهم مساعدين للمعمرين الفرنسيين.

- فشل لافيجري:

لم يتمكن لافيجري من تطبيق مشروعه بسبب معارضة الإدارة الاستعمارية والجزائريين المسلمين له وخشيت الإدارة الفرنسية ما قد ينتج عن سياسة التنصير الجنونية هذه .أما المسلمون فقد أظهروا عداوتهم لمشروع التنصير

منذ البداية. فقد احتج السيد ابن علي الشريف على رسالة لافيجري المؤرخة في السادس أفريل 1968 برسالة وجهها إلى نائب الوالي العام فقال : "لقد قرأت رسالة الأسقف المؤرخة بالسادس أفريل الماضي ، والتي يقول فيها أنه يريد استبدال القرآن بالإنجيل من أجل إحياء الشعب العربي . لقد أثرت هذه الرسالة كثيراً في المسلمين، أننا نفضل موت جميع أولادنا على تنصيرهم".

لذا فقد اتهم لافيجري الجزائريين المسلمين بكل الاتهامات كما أشرنا إلى ذلك . إنهم يمثلون "الهمجية" في نظره، وشن ضدهم حملات غريبة: فالأغنياء منهم لا يساعدون إخوانهم الفقراء بل يطردون ويحاربون من يطلبون منهم الخبز"!. وبلغت به العنصرية إلى درجة أنه اتهمهم بأكل الإنسان، فقال: "لا يوجد اليوم في بعض المناطق مترلاً لم يأكل فيه لحم الإنسان".

حاول لافيجري عبثاً بهذه الاتهامات الكاذبة أن يغطي الواقع الأليم الذي لم يرد الاعتراف به وهو أن الغزو العسكري واستلاب الأراضي قد حول الجزائريين إلى بؤس لا يوصف . ولا حظ هذه التعاسة أحد مترجميه السيد "كلاين" سنة 1890 في ضواحي القرى المسيحية بوادي شلف. وأجمع المؤرخون عن أن هذه السياسة الظالمة التي تميزت بالسرقة والنهب والتعصب التي جعلت الشعب الجزائري يقاوم الاستعمار ويثور عليه باستمرار إلى أن اندلعت حرب التحرير النهائية.

واستغلت الحركة التنصيرية في عملها لنشر المسيحية بين أفراد وطبقات المجتمع الجزائري الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزية والمتدنية التي كانت تمر بها ، كانتشار الأوبئة والأمراض وبخاصة المجاعات التي عصفت بالجزائر أهمها المجاعة الكبرى عام 1867 التي قصت على نصف

مليون جزائري . وكان لافيجري يحمل الإنجيل في يد والخبز في يد أخرى فمن أراد الحصول على رغيف الخبز فعليه أن يعلن ولاءه للإنجيل.

فرغم المحاولات التنصيرية الكنسية صمد الشعب الجزائري أما تلك الحثالة من النصارى التي كانت تظن أن هذا الشعب غبي يمكن أن يقبل بفكرة تثليث الله بكل سهولة . إن العقيدة الإسلامية التي رسخها القرآن فيهم عن طريق الفاتحين والعلماء لا يمكن أن تتزعزع بكل سهولة . ووقف المجتمع الجزائري في وجه تلك العاصمة الهوجاء التي أرادت أن تسلخهم عن دينهم وتعبث بمقوماتهم الإسلامية.

ولعبت حركة الإصلاح التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس من الوقوف في وجه التيار التنصري، وتمثلت في جمعية العلماء المسلمين التي أسسها عام 1931 وانصب عمل الجمعية على نشر التعليم الإسلامي ونشر اللغة العربية تحت شعار " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا" . واعتمد العلماء لبث دعوتهم الإصلاحية على ثلاثة مراكز هي: المساجد والمدارس الحرة والنوادي الثقافية . وكان العلماء يقومون بمهمة الوعظ والإرشاد في المساجد خاصة بعد صلاتي العصر والمغرب.

وبهذا نادى الشيخ عبد الحميد بن باديس من هلال دعوته إلى التجديد الاجتماعي والثقافي في المشبع بالتقاليد المحمدية عن طريق إحياء ضرورة العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإحياء الروح الوطنية وإبراز أهمية التاريخ في الصحوة الوطنية (12). وحارب العلماء التجنيس وأدانوه وكان يرى توفيق المدني أن التجنس يعني التخلي عن الجنسية

واللغة ونبذ التاريخ وتبني جنسية العنصر المهمين. لقد أدان ابن باديس من كانوا يتركون شريعة الإسلام ونعتهم بالمرتدين.

وردا على ما قام به لافيجري من تأسيسه لمراكز تنصيرية استطاع العلماء بين 1930-1945 فتح ما يقرب من سبعين مدرسة بمعدل قسمين لكل منها وتسع في مجموعها لثلاثين ألف تلميذ(13). ويتضح من خلال هذا الالتفاف لأبناء الشعب حول جمعية العلماء حفاظا على هويتهم العربية الإسلامية وتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية .

وقد عرفت كثير من المدن الجزائرية منها على سبيل الحصر مدينة قسنطينة تظاهرة عارمة من اجل رفض سياسة الاستعمار بكل أشكالها. وبعضهم عبر من رفضه للنظام الاستعماري عن طريق الهجرة إلى البلدان المجاورة أو إلى المشرف العربي(14) هروبا بدينهم وحفاظا على تقاليدهم الإسلامية .

واعتبرت الهجرة المنفذ الوحيد والمتنفس لأبناء الشعب الجزائري لممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية ودون ضغط. فتوجه بعض أبناء الشعب إلى فرنسا هروبا من الفقر المسلط عليهم ولرفع مستواهم المعيشي (15) وتوفير الأمن لأنفسهم وأهليهم.

فكل ذلك يعبر عن الوسائل الوقائية الكفيلة لعدم الذوبان في أوحال الكنيسة والقوانين الاستعمارية البغيضة. وان كانت ظرفية لكن ثبات المجتمع الجزائري ضد وسائل الاستعمار يشبه إلى حد ما أصحاب الأخدود الذين تمسكوا بعقيدتهم رغم معاناتهم وإحراقهم بالنار على مرأى ومسمع مجتمعهم. وقد كان المجتمع الجزائري متشبعا بالقيم الإسلامية الأمر الذي

جعلهم يصمدون ولا يستسلمون لأولئك الغزاة . وكانت تلك المحن مثابة محك أفرز رجالا ثاروا في وجه الاستبداد والاستعباد وفجروا ثورة عام 1954 التي تمخض عنها الاستقلال عام 1962.

- بعد الاستقلال:

تشهد الجزائر حاليًّا جدلاً واسعًا حول حالات تنصير، ففي الوقت الذي تتحدث الصحافة الجزائرية عن اتساع ظاهرة التنصير في البلاد وامتدادها في الفترة الأخيرة من منطقة القبائل إلى أنحاء أخرى من البلاد، قلّل البعض من شأن هذه التقارير وشددوا على أن الأمر لا يتعدى كونه حالات "محدودة" لا ترقى للظاهرة .

ونشرت عدد من الصحف الجزائرية من بينها "اليوم" و"الشروق العربي" مؤخرًا تقارير تؤكد اتساع الظاهرة كما نشرت صحيفة "البلاد" تقديرات تقول إن نسبة معتنقي المسيحية في منطقة القبائل "في ازدياد وأنهم يمارسون شعائرهم في 15 كنيسة".

ويتحدث الدكتور محمد بوالروايح الأستاذ المحاضر بجامعة قسنطينة في مقال له عن ظاهرة التنصير قائلا: وقد أرجعت النظر وأمعنت الفكر في هذه المزاعم فوجدتها جعجعة بلا طحين، فمعركة المصحف والإنجيل التي تغذيها هذه المزاعم معركة وهمية لا وجود لها إلا في عقول بعض الناس ممن عندهم انغلاق في الذهن وبلادة في الفكر وهوس في الطبع .

واعتبر الشيخ عبد الرحمن شيبان في تصريح خاص لـــ"إسلام أون لاين.نت" أنه "ما دام المسيحي يتمسك بمسيحيته فله ذلك، وله حرمته أن

يؤدي طقوسه كما يشاء، أما أن تمتد مساعيه إلى عقيدة الإسلام المغروسة في قلوب المسلمين والمسلمات، لاجتثاثها من هذه القلوب، فهذا عدوان ليس مثله عدوان".

وأوضح الشيخ شيبان الذي ينحدر من منطقة القبائل، أن جمعية علماء المسلمين الجزائريين وقفت منذ نشأتها عام 1931 في وجه تيار التنصير، مشيرًا إلى أن شعار الجمعية هو "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". ورأى أن محاولات التنصير اليوم ما هي إلا امتداد للماضي، حيث سبق أن زعم الاستعمار الفرنسي بعد 100 عام على احتلال الجزائر عام 1832 أن "الجزائر تراب فرنسي يفصلها عن فرنسا البحر، وقد عادت لمسيحيتها، قبل الفتح العربي، وأن لغة هذا الشعب هي الفرنسية".

وذكر محمد العربي منقلاتي في مجلة الشهاب الإلكترونية أن أحدث الإحصائيات الرسمية تشير إلى أن عدد المسيحيين بالجزائر يبلغ حوالي 12 ألفا يتوزعون أساسا على المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي، إلى جانب مجموعة قليلة من أتباع شهود يهوه. بينما تشير أرقام أصدرتها الأمم المتحدة عام 2003 إلى وجود 10 آلاف كاثوليكي وما بين 5آلاف إلى 20 ألف بروتستانتي. وفي جميع الأحوال فهم يمثلون أقل من 1% من مجموع سكان الجزائر.

يعود تاريخ حصول الكنيسة على اعتمادها الرسمي من السلطات الرسمية إلى سنة 1969، وبعد هذا التاريخ انطلق أتباع الكنيسة (وفي هدوء تام) في تأسيس عدة جمعيات أهمها:

- الجمعية الأسقفية الجزائرية والتي اعتمدت في 10 نوفمبر 1974
- اللجنة المسيحية للخدمة في الجزائر (نفس التاريخ).
- جمعية الكنيسة البروتستانتية في الجزائر(نفس التاريخ).
- جمعية الطوائف الدينية الكاثوليكية في الجزائر(نفس التاريخ).
- البعثة السبتية لليوم السابع في الجزائر(نفس التاريخ).
- الجمعية النسائية لجمعية بعثات الكنيسة الميتودية الموحدة(نفس التاريخ).

وبذلك أصبحت كل الأنشطة التبشيرية من تجمعات ومخيمات واستيراد كتب وأشرطة وغيرها تتم تحت تغطية هذه الجمعيات.

- الوسائل والأساليب المستعملة في التنصير:

من أهم الوسائل والأساليب المستعملة المال.. المعاملات الطيبة.. السفر...الخ. ولكن ليس كل الناس يمكن تنصيرهم بهذه الأساليب. هناك من يتنصر لا لغرض ما، بل أكثر من ذلك يخدمون النصرانية ويساهمون في نشرها بنشاط وإخلاص لا لرغبة في مال أو دنيا. إن النصارى لا حجة لهم لإقناع الناس بعقيدة يرفضها العقل والفطرة إن ما يركزون عليه هو دغدغت العواطف وتخدير العقول بتلك التعاليم والقيم الجذابة. وأخطر الوسائل التي أراها الآن هي الإعلام. أنظر مثلا أثر فيلم " آلام المسيح". لقد أعاد الاعتبار للتدين بالنصرانية والمشاهد لا يجد إلا العواطف حتى مات بعضهم من شدة التأثر. إنهم يدخلون عبر العواطف ولا حجة لهم. عنوان الفيلم ومضمونه دليل لما نقول، فالنصارى

يقدمون دينهم في صورة البراءة والحب بالخصوص في هذا الظرف الذي شوهت فيه صورة الإسلام وكأنه دين العنف والإرهاب وأنه سبب أزمات المسلمين ويعرضون النصرانية كبديل وأفق جديد.

ويحدث كل هذا في الجزائر المعاصرة بسبب انتشار عدة ظواهر أفرزتها ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية كالبطالة التي أصبحت تنخر العنصر الشاب و الذي لم يجد أمامه سوى التفكير في الهروب من وطنه نحو العالم المتقدم خاصة دول الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط كفرنسا واسبانيا و إيطاليا. ويسعى سعيا حثيثا للبحث عن التأشيرة بكل الطرق و الوسائل لتسوية وضعيته العامة. وكل هذا نتيجة للإغراءات التي يتعرض لها الشاب من طرف الجمعيات التنصيرية بطرق مباشرة أو غير مباشرة . في ظل بعده عن ربه الذي هو عصمة أمره، وما يترتب عن ذلك من فراغ روحي نتج عنه إحباط نفسي وسع الهوة بينه وبين دينه و عقيدته.

- الوسائل والأسباب المساعدة على انتشار التنصير

1) الوسيلة المساندة الأولى والأقوى هي الاحتلال (الاستعمار) وهو ما يجري الآن في العراق، وما حدث من قبل من استعمار للبلدان الإسلامية.

2) الدعم السخي الذي يبذله المواطنون الغربيون سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات أو حكومات للقائمين بأعمال التنصير.

3) عامل الفقر لدى المسلمين عامل مساعد على التنصير، لأن الفقر يقابله الأموال عند المنصرين وتسخيره لجذب هؤلاء الفقراء إلى التنصر بشتى الوسائل المادية .

يقدمون دينهم في صورة البراءة والحب بالخصوص في هذا الظرف الذي شوهت فيه صورة الإسلام وكأنه دين العنف والإرهاب وأنه سبب أزمات المسلمين ويعرضون النصرانية كبديل وأفق جديد.

ويحدث كل هذا في الجزائر المعاصرة بسبب انتشار عدة ظواهر أفرزتها ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية كالبطالة التي أصبحت تنخر العنصر الشاب و الذي لم يجد أمامه سوى التفكير في الهروب من وطنه نحو العالم المتقدم خاصة دول الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط كفرنسا واسبانيا و إيطاليا. ويسعى سعيا حثيثا للبحث عن التأشيرة بكل الطرق و الوسائل لتسوية وضعيته العامة. وكل هذا نتيجة للإغراءات التي يتعرض لها الشاب من طرف الجمعيات التنصيرية بطرق مباشرة أو غير مباشرة . في ظل بعده عن ربه الذي هو عصمة أمره، وما يترتب عن ذلك من فراغ روحي نتج عنه إحباط نفسي وسع الهوة بينه وبين دينه و عقيدته.

- الوسائل والأسباب المساعدة على انتشار التنصير

1) الوسيلة المساندة الأولى والأقوى هي الاحتلال (الاستعمار) وهو ما يجري الآن في العراق، وما حدث من قبل من استعمار للبلدان الإسلامية.

2) الدعم السخي الذي يبذله المواطنون الغربيون سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات أو حكومات للقائمين بأعمال التنصير.

3) عامل الفقر لدى المسلمين عامل مساعد على التنصير، لأن الفقر يقابله الأموال عند المنصرين وتسخيره لجذب هؤلاء الفقراء إلى التنصر بشتى الوسائل المادية .

4) قلة الوعي والجهل بالدين والحياة ، واختلاط الحق بالباطل عند كثير من المسلمين واختلاط الصدق بالخرافة ، فيعمد المنصرون إلى ترسيخ هذه المفهومات بطريقتهم.

5) الحقد الكمين لدى بعض المنصرين الموروث ضد المسلمين خاصة ، بسبب أن الإسلام انتشر في العصور الوسطى وأقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ، ثم إن الإسلام قد امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها ،وهذا كلام صرح به المستشرق الألماني بيكر (16)Becker.

6) استغلال حب الرحلات والمغامرة لدى المنصرين فتقوم مؤسسات التنصير على تعليمهم اللغات والطباع والعادات والأديان وجوانب الضعف فيها، وإن لم يكن فيها ضعف أوجدوه فيها كما يفعل المستشرقون قديماً وحديثاً في الدين الإسلامي .

- كيفية مقاومة التنصير في الجزائر المعاصرة:

جاء على لسان الشيخ سلمان العودة أن مقاومة التنصير تنطلق من:

(1) اليقظة لنشاطات المنصرين وتكثيف المراقبة عليهم بشتى الوسائل وتبليغ العلماء والمشايخ المختصين بكل ما يُكتشف في ذلك أو يُرتاب في أمره.

(2) توسيع نشاط الدعوة إلى الله تعالى في أوساط الشباب قال عليه الصلاة والسلام "ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً على يديك خير من حمر النعم" وإن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم فهو يواجه الكيد التنصيري بوسائل مكافئة وفضح لأعمال المنصرين.

(3) نشر العلم الصحيح بين المسلمين وتوعيتهم بأمر دينهم عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً وذلك لحمايتهم من التأثر بالآخرين ، فإنه ليس بمكان وصول المنصرين إلى القلوب السليمة والعقول المنيرة إنما يكون خطرهم على الجهال ولذلك ينبغي ترتيب أمر توعية المسلمين ونشر الدعوة الصحيحة فيما بينهم في كل مكان .

(4) بذل الجهود لحماية الشباب والفتيات من الغزو السلوكي المنحرف المتمثل في وسائل الإعلام المتعددة.

(5) المساعدة في قيام مؤسسات طبية خيرية إسلامية تستثمر جهود الأطباء وتقتطع من وقت فراغهم ولو شيئاً يسيراً لتطبيب المسلمين في كل مكان ويصاحب ذلك جهد دعوي لعودتهم إلى الله تعالى. ويكون هذا العمل تحت إشراف هيئة رسمية.

(6) إيجاد مواقع على الانترنت ومنتديات خاصة بدراسة موضوع التنصير ومتابعته وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه وحفظ الوثائق المتعلقة به وإصدار النشرات الدورية التي تلاحق كل جديد في هذا المجال.

(7) إعداد مطويات مختصرة عن التنصير وخطره .

(8) تحصين الشباب المسافرون إلى الخارج من مخاطر التنصير سواء كانوا مسافرين للدراسة أو العمل أو غير ذلك (17).

(9) تحقيق التقدم والازدهار حيث يعتمد على استخراج القوة ومقومات التحرر والتقدم من جميع فئات الشعب وأفراده.

وهذا الصراع القائم بين الحق و الباطل ذكره الله تعالى و بينه لنا في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (18) يقول سيد قطب في تفسيره أن القرآن جمع بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر.. وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن ، ولا يود لهم الخير(19). إن النصارى الحاقدون الذين كانوا ولا يزالون يبذلون قصارى جهدهم، وغاية وسعهم لمقاومة المد الإسلامي في أصقاع الدنيا، بل ومهاجمة الإسلام والمسلمين في عقر ديارهم، لا سيما في حالات الضعف التي تنتاب العالم الإسلامي كحالته الراهنة اليوم، ومن المعلوم بداهة أن الهدف من هذا الهجوم هو زعزعة عقيدة المسلمين في الجزائر، وتشكيكهم في دينهم؛ تمهيدا لإخراجهم من الإسلام، وإغرائهم باعتناق النصرانية عبر ما يعرف بالتنصير، وإيجاد جيل جزائري ناشئ له القابلية للاستعمار على حد تعبير مـــــالك بن نبي(20).

قال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (21) وقال جل وعلا: ﴿ ولن ترض عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتـــهم﴾ وقال سبحانه ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ (22). يحاول النصارى عبثا إخراج المسلمين وإبعادهم عن دينه لكنهم يفشلون في كل مرة. لأن الأمة الإسلامية لا تزال عقيدتها متوقدة في قلوبهم. ومن واجبنا أن نكون متفائلين لقول النبي عليه الصلاة والسلام:" الخير

في أمتي لا ينقطع إلى يوم القيامة"، وقال تعالى ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾(23). وفي الأخير عاشت الجزائر وعاش شعبها عربيا مسلما.

المصادر والمرجع:

1- العودة(عبد القادر)، مذكرة التنصير، w.alsalafyoon.com.

2- صاري (الجيلالي)، قداش(محفوظ)، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص.225.

3- سعد الله(أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، القاهرة، 1977، ص.14.

الخطيب(أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.16.

4- التميمي(عبد الجليل)، التفكير الديني والتبشيري، المجلة التاريخية المغربية، العدد1، 1974، زغوان، ص.14.

أجرون،(شرل روبير)،المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكلونيالية، ترجمة وتقديم و تعليق د. محمد ولد خليفة، منشورات تالة،الجزائر، 2002، ص.119-120.

5- نفس المرجع السابق،ص.18.

6- المرجع السابق، ص.18.

7- حلوش(عبد القادر)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر شركة دار الأمة، الجزائر ط 1، 1999، ص.21.

8- نفس المرجع، ص.21.

9- التميمي(عبد الجليل)، التفكير الديني والتبشيري، ص.23.

10- الخطيب(أحمد)، ج.ع.م.ج. وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص.55.

10- الخطيب(أحمد)، ج.ع.م.ج. وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص.55.
11- صاري (الجيلالي)، قداش(محفوظ)، المقاومة السـياسية 1900-1954 ، ص.24.
12- نفس الرجع، ص.26.
13- نفس المرجع، ص.50.
14- الخطيب(أحمد)، المرجع السابق، ص.84.
15- نفس المرجع، ص.84.
16- www.alsalafyoon.com
17- العودة(سلمان)، www.alsalafyoon.com
18- سورة البـقرة، الآية 10.
19 - قطب(سيد)، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الحادية عشر، 1985، ص.101.
20- بن نبي ، (مالك)، الصراع في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1986، ص.31.
21- سورة آل عمران، الآية100.
22- سورة البقرة، الآية 215.
23- سورة الأنبياء، الآية105 .